شخصية المثقف في المجموعة القصصية "للأسف الشديد" للسعيد بوطاجين

Educated personality In the story series "Unfortunately," Said Boutajin

ط/د: عبد القادر بشيشي*

أ/د: مشري بن خليفة♣

تاريخ الإرسال: 2020/07/27	تاريخ القبول:2020/09/14	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

يبدع الكاتب في تحديد ملامح الشخصية، فيختار نمطها، ويتحكم في رسمها، لتعمل بدورها على تصعيد حركة الأحداث وتطويرها داخل العمل الفني، لذلك كانت الشخصية جزءا لا يتجزأ من العملية السردية، لاحتلالها فكر الكاتب، الذي يتخذ منها المنفذ لما يجول بخياله، والمجسدة لأفكاره، غير أن السعيد بوطاجين في مجموعته "للأسف الشديد" قدّم لنا شخصيات من الواقع، شخصيات أدبية نعرفها، ليبين لنا العلاقات المختلفة بين المثقف وواقعه، وبينه وبين بيئته الاجتماعية، كما يبين أيضا علاقته بالسلطة السياسية، وما يميزها من صراع أساسه وعي هذا المثقف بالممارسات التي أدت إلى تهميشه وتحييده وتعطيل دوره في النهوض بمجتمعه، وبعث الحياة فيه.

الكلمات المفتاحية: المثقف، الثقافة، الشخصية، السعيد بوطاجين، للأسف الشديد.

Abstract:

The writer is creative in defining the features of the character, choosing his style, and controlling its drawing, to work in turn to escalate the movement of events and develop them within the artwork, so the personality

المؤلف المرسل: ط/د:عبد القادر بشيشي bechichiaek@gmail.com

*** جامعة الجزائر02، مخبر الخطاب الصوفي bechichiaek@gmail.com**

♣ جامعة الجزائر02، mechribk@gmail.com

was an integral part of the narrative process, for its occupation of the writer's thought, which takes the implementer of what is his imagination, and embodied his ideas, However, Al-Said Boutajin in his group "Unfortunately" provided us with figures from reality, literary figures that we know, to show us the different relations between the intellectual and his reality, and between him and his social environment, as it also shows his relationship with political authority, and what distinguishes it from a conflict based on the awareness of this intellectual with the practices that Its marginalization, impartiality and disruption of its role in the advancement of society and the revival of life there.

***Key words**: intellectual, culture, personality, Al-Said Boutajin, unfortunately.*

*** *** ***

مقدمة: لم تكن الطريقة التي تقدم بها الشخصية هي الغاية، ولكن الأهم هو ماذا سيقول الكاتب من خلالها، بمعنى كيف يمكن لهذه الشخصية أن تحول عالما تخييليا مندمجا ومنصهرا مع الواقع، فلكل صيغة دلالاتها وقوتها، أما أن يقدم المبدع شخصيات من الواقع، معروفة لدى العام والخاص، وتتحدث هذه الشخصيات عن نفسها ، بل تؤثر بشكل مباشر في مسار العمل الأدبي وتفرض النهاية له؛ يصبح الأمر مختلفا تماما، وهذا ما ذهب إليه السعيد بوطاجين في مجموعته القصصية "للأسف الشديد".

فأي الشخصيات تناولها في مجموعته؟ وأي شخصية للمثقف التي قدمها في هذه المجموعة؟

2. مفهوم الشخصية

"الشخصية .. هذا العالم المعقد الشديد التركيب، المتباين التنوع ..

تتعدد الشخصية في العمل السردي "بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديوليوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية، التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها حدود"[1]، بهذه العبارة استهلّ الباحث الجزائري عبد المالك مرتاض حديثه عن الشخصية، ليبين مدى تعقدها وشدة تركيبها، وتباين تنوعها، ثم لعله أراد أن يجيب عن تساؤل فرجينيا وولف في مقالها عن الشخصية، حين أطلقت صرختها: "دعونا نتذكر مدى قلة ما نعرفه عن الشخصية"[2]، وهي تشير إلى مدى إغفال المهتمين والدارسين لهذا الموضوع، ليضفي عليها

غموضا، وينذر "بالخطر الذي يحف بالنقد الروائي إذا ما هو تمادى في تجاهل مفهوم الشخصية"[3]؛ هذه التي تلعب دور الفاعل في النص، وتتضافر مع مكونات أخرى لتشكل مرتكز النص السردي، إذ "لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها؛ إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية، أو شخصيات تتصارع فيما بينها، داخل العمل السردي"[4]

لذلك فإن الشخصية أهم وأبرز عناصر البنية السردية، عليها يرتكز العمل السردي، حيث لا يمكن أن نعثر على نص يفتقر إلى شخصيات تدير أحداثه، أو تدور الأحداث حولها، سواء كان ذلك في السرد القديم أو الحديث، وهو ما جعل عديد الباحثين يقرّون بمحوريتها، نظرا للفاعلية التي تميزها، والاستقلالية التي تحتلها، مما يجعلها "متميزة في الخير، كما هي متميزة في الشر، وفي الحالتين تنال إعجاب القراء وتعاطفهم، بل وحبهم، لأنها شخصيات عملية لا تعرف التحجر أو السكون، ولا تستسلم للأمر الواقع"[5]

وبذلك ندرك أهميتها ومركزيتها في العمل السردي، ودورها الفعّال، بإثرائها وبعثها للحيوية والنشاط، بل الحياة فيه، بحركيتها وتفاعلها مع غيرها من العناصر السردية الأخرى، من زمان ومكان، غير أنها لا تمثل الواقع بذاته، فالطابع الفني هو الذي يكسبها هذا التميز، وعليه فإنه " لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات"[6] تحرك الأحداث.

لذلك يناضل الروائي كي يضع كل شخصية في مكانها الصحيح، لأنها "محور أساس في الرواية، ومركز الحدث فيها، بل هي المكون الأكبر للنص الروائي، كما أنها عوامل مساهمة في هذا التشكيل الفني"[7]، فهي المحرك الأساس للعمل الفني، والقطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وحتى يتمكن السارد من تصوير الحوادث وتقديمها للقارئ بصورة صحيحة، عليه باختيار الشخصيات المناسبة لذلك، لتلعب الشخصية دورا رئيسا في تجسيد فكرته، "وبسبب المكانة التي تحتلها الشخصيات في السرد الروائي، فقد جرى الاعتراف بالروائي على أساس مقدرته في رسمها، وآية ذلك أن بلزاك الكاتب الفرنسي المعروف، لم يشتهر إلا بشهرة الأب غوريو، أحد شخصيات الرواية الموسومة بالعنوان نفسه، وأيضا نجد دستوفيسكي الكاتب الروسي الشهير الذي لم يعرف إلا بشهرة كارامازوف، أحد الشخصيات الرئيسية في إحدى رواياته"[8]، فالشخصية مكون من أهم مكونات العمل الحكائي، لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي، وهي "كائن موهوب بصفات بشرية، وملتزم بأحداث

بشرية، ممثل متسم بصفات بشرية"[9]، أي أن كل من يلتزم بالأحداث ويقوم بها في النص يمكن اعتباره شخصية من شخصياته.

ويضع الكاتب كل شخصية في مكانها الصحيح، حتى تقوم بالدور المنوط بها، وتتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها، وتبرز مواهبها، على اعتبار أنها هي "التي تتحمل الرموز والعلامات اللغوية الدالة على ما يريد الكاتب طرحه، وما يريد الناقد أن يستوعبه من النص، حتى ولو أراد إماتة المؤلف"[10]، فإن له ذلك.

ثم أن "لا أحد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية"[11]، ولا غرو أن الحدث في العمل السردي له أهميته، فهو مدار العمل وهو البارز فيه، إضافة إلى ما يكتسبه المكان من أهمية في ذلك، "غير أن الشخصية الروائية تظل المركز الذي تنبثق منها خيوطها، وتنتهي إليها جذورها، باعتبارها الفاعل العارف بخبايا الأمور، الممسك ببوصلة الوعي، وإدارة الصراع، وتحديد زاوية الرؤيا، وبلورة الموقف دون السقوط إلى مستوى الخطاب المسلكي الجاهز، الذي يؤدي لا محالة إلى تفكيك بنية الرواية، لأنه يحرفها عن مسارها الفني، الضامن الأساسي لتماسك مكوناتها كافة"[12].

الشخصية ليست عنصرا يمكن الاستغناء عنه أو الاستعاضة عنها ببديل يمكن أن يأخذ مكانها، وهي كذلك "ليست مجرد شكلية تافهة، ولا هي زخرفة يستعين بها الكاتب على البهرجة والهيلولة فحسب، وإنما هي أكثر من ضرورة، لأنها تعتبر المحرك الأساسي في العمل القصصي ولا سيما الرواية"[13]. تعيش حياتها في النصوص، تولد وتعيش وتكبر وتموت فيها، تتفاعل مع غيرها، وهي "أداة فنية يستحدثها الكاتب المشتغل بالسرد لوظيفة هو متطلع إلى رسمها، فهي شخصية لغوية قبل كل شيء، بحيث لا توجد خارج الألفاظ بأي وجه"[14]، فينتفي وجودها خارج النص.

3. التعريف اللغوي للشخصية:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ش،خ،ص) لفظ الشخصية (شخص) والتي تعني الشخص سواء الإنسان وغيره وتراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص، وشخّص يعني ارتفع، وشخوص ضد الهبوط، وشخّص ببصره أي رفعه، وشخّص الشيء عينه، وميزه عمّا سواه [15]

المعجم الوسيط وردت فيه بمعنى (الصفات التي تميز الشخص عن غيره، مما يقال فلان لا شخصية له، أي ليس له ما يميزه عن غيره من الصفات الخاصة به، شخص تشخيص السرد أي عينه وميزه عن سواه)[16]

معجم مقاييس اللغة لابن فارس ورد فيه ما يلي :"الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء من ذلك الشخص، وسواء الإنسان إذا سما لك من بعيد، ثم يحمل على ذلك فيقال شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه، ومنه أيضا شخوص البصر، ويقال رجل شخيص وامرأة شخيصة أي جسيمة"[17]

"وقد تطور هذا المفهوم في الدلالة والصيغة عند الجوهري، ليحدد الشخصية مصطلحا بالمصدر الصناعي: وهي شخصية شاملة لمجموع ما في البيئة مما يتصل بشخصية الإنسان اتصالا وثيقا يجعله يشعر بها في البيئة، كما لو كانت أجزاء من نفسه تستبدل ولا تعوض، مثل الملابس والممتلكات، ومن يحبهم من الناس... والشخصية تمثل طباع الشخص، ومزاجه الخلقي، يقال على الفرد المتفوق أو الذي له سلطان أنه ذو شخصية"[18].

المعنى الاصطلاحي للشخصية:

تختلف الشخصية السردية في تعريفها الاصطلاحي عن تعريفها اللغوي، حيث تم فك الارتباط بين الشخص والشخصية لاعتبار أن الشخصية كائن ورقي، فهي مجرد دور أو فاعل من فواعل كثيرة في النص لا يمكن أن ينحصر دورها على شكل إنساني.

"وبهذا تكون الشخصية نظاما ينشئه النص تدريجيا، لكنها لا تقدم في بداية ظهورها هوية عامة، فهي في البداية شكل أو بنية عامة، وكلما أضيف إليها خصائص أضحت معقدة غنية مرغّبة من دون أن تفقد هويتها الأصلية، والمتلقي إذ يتلقى كما غزيرا من خصائص الشخصية الدلالية، ينتقي ما يراه به أصلح فينسى بعضها وقد يضيف غيرها"[19]. و قد عرّفها لطيف زيتوني في معجم مصطلحات نقد الرواية بقوله: "الشخصية هي كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في حدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف"[20]، ويضيف أن "الشخصية عنصر مصنوع،مخترع، ككل عناصر الحكاية فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها"[21]. فهي محدد بألفاظ في النص.

"ويعتبر جينيت Genette الشخصية أثرا من آثار الخطاب، ولكنها لا تنتمي إليه بل إلى الحكاية، وهو يفضل دراسة الوسائل التي يستخدمها الخطاب في رسم الشخصية، أي التشخيص، بدل دراسة الشخصية مباشرة"[22]، يركز جينيت على كيف تتشكل هذه الشخصية من خلال القرائن التي تسهم في تقديمها، حيث "تكون طبيعة الأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة"[23]. وعلى هذا فإن الشخصية كانت خاضعة لمفهوم الحدث خضوعا تاما، واعتبرت ثانوية، على عكس "القرن التاسع عشر عندما احتلت الشخصية مكانا بارزا في الفن الروائي وأصبح لها وجودها المستقل عن الحدث، بل أصبحت الأحداث مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة" [24]. فكلمات تطورت الأحداث تعرفنا أكثر على الشخصيات.

ونظرا لهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية، والايديوليجية السياسية، فقد أولى الكتاب العناية الفائقة لرسم الشخصية، لذا عوملت " الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها وقاماتها وصوتها، وملابسها، وسحنتها وسنها، وأهواؤها وهواجسها، وآمالها وآلامها، وسعادتها، وشقاوتها... ذلك بأن الشخصية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه كاتب رواية تقليدي (بالزاك، ايميل زولا، نجيب محفوظ ...)"[25]، وغيرها.

ويرى غنيمي هلال أن "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، وإلا كانت مجرد دعاية وفقدت بذلك أثرها الإجتماعي وقيمتها الفنية معا"[26]، لا يفرق في ذلك بين الشخص والشخصية، فالشخص على حد تعبير عبد المالك مرتاض"هو الفرد المسجل في البلدية، والذي له حالة مدنية والذي يولد فعلا ويموت حقا"[27] إذا هو ذلك الكائن البشري الذي يعيش أو عاش في الواقع، وله كيانه ووجوده وأثره، واسمه الخاص به وحياته التي يعيشها أو عاشها أو سيعيشها إذا كان هذا الشخص مقبلا على الحياة "بينما إطلاق الشخصية لا يخلو من عمومية المعنى، في اللغة العربية، زئبقي الدلالة، فارتأينا تمحيضه، لدى الحديث عن السرديات، للعنصر الأدبي الذي يطفر في العمل السردي ضمن عطاءات اللغة التي يغذيها

الخيال للنهوض بالحدث، وللتكفل بدور الصراع داخل هذه اللعبة السردية العجيبة"[28] وهي لعبة سردية عجيبة تكون فيها الشخصية غير تلك التي ألفناها ورأيناها،نعقدها كيفما نشاء ونجليها كيفما نشاء.

فمومن السميحي على يقين "أن الشخصية في الكتابة كانت بالكلمات أو بالصور والأصوات، روائية أو ذاتية هي دائما وقطعا خيالية"[29] وهو أيضا يعتقد أن "الشخصية الروائية وليدة الحكي الذي يمتطي اللغة، أدبية كانت أم سينمائية"[30].

وقد صنفت الشخصية في مجال الأدب والنقد واللسانيات تصنيفات عدة، يمكن جمع بعضها في هذا الجدول[31]:

بروب	المعتدي	الواهب	المساعد	الأميرة	الموكل	البطل	البطل المزيف
غريماس	المرسل	المرسل إليه	الذات	الموضوع	المساعد	المعاكس	/
كلود بريمون	فاعلة	منفعلة	/	/	/	/	/
جورج لوكاش	مثالية	رومانسية	متصالحة	/	/	/	/
ميشيل زيرافا	منجزة	غير منجزة	/	/	/	/	/
لوسيان كولد مان	بطل إشكالي	بطل ملحمي	/	/	/	/	/
فورستر	بسيطة	معقدة	ديناميكية	نامية	ساكنة ثابتة	/	/
هامون	مرجعية	واصلة	تكرارية	/	/	/	/

5. شخصية المثقف في المجموعة القصصية "للأسف الشديد":

المثقف هو ذلك الشخص الذي يسعى لتقديم حكمته وذكائه للآخرين، فهو إنسان علم ومعرفة، له موقف حضاري عام ووجهة نظر خاصة ومختلفة، فهي: "وجهة نظر موضوعية

وكاملة تجاه مجتمعه"[32]، لأن المثقف في تفاعل دائم مع مجتمعه، كما أنه أكثر وعيا وإدراكا للتقابلات بين أفراده، أو تلك العلاقات التي تحكمه.

لذلك تبرز قدراته في فهمه له، وتتجلى قدرته على نقده وتوجيهه، بالشكل الذي يراه مناسبا، وبالطريقة المناسبة لذلك، "كان يردد عبارات بالعامية مفادها أنه يبيع كما يفهم وكما يريد، كما يملي عليه ضميره، وليس لأحد أن يتدخل في شأنه، لأنه بالغ وملقح منذ فجر الخلائق"[33]. هذا التفاعل بينه كإنسان علم ومعرفة، وبين مجتمعه في العصر الذي يعيشه، وبين الموضوعات المطروحة، هي التي تميزه، وما أكثر هذه الموضوعات في زمننا؛ ولعلّ أهمها الوضع الاجتماعي الذي يعيشه المثقف في حدّ ذاته، ما يجبره على ممارسة أية مهنة تحفظ له كرامته، "كان هناك صخب يتسلق الفضاء ميمّما شطر السماء السابعة، لكن فضول عبد الله البري دفعه إلى الدنو أكثر من البائع الشاب ... سردين، سردين، خرج الآن من البحر، سردين حي يرزق، راح الشاب يردّد بإعياء، كمن عاش مئات القرون في حفرة بعيدة عن الشعب المؤمن كثيرا لدرجة الكفر"[34]. محاولة منه للإقناع بجودة ما يبيع.

بائع سمك متجول، يحمل قارورة ماء يرش بها السمك، ومجموعة كبيرة من الصور يلفه فيها، إنّه المثقف "البائع النحيل الأشعث الذي بدا غير مكترث بالضجيج الذي ملأ المكان، وفاض كما يفيض الفراغ العارم، كان يشبه في هيئته شخصية مقتبسة من حكاية ساخرة، لكاتب أضاء أدغال النفس الموحشة"[35]. كاتب أضاء أدغال النفس، ولكنه فشل في إضاءة طريق يحفظ له ماء وجهه.

وقد أشكل على الباحثين والدارسين إعطاء تعريف دقيق للمثقف، "وترجع صعوبة تعريف المثقف إلى أن المثقفين لا يشكلون طبقة مستقلة قائمة بذاتها، بل يتغلغلون في الطبقات المكونة للمجتمع، ويتحركون بحرية على سلم المجتمع صعودا أو هبوطا، وعلى الرغم من تعدد تعريفات الثقف؛ يمكن إرجاع هذا التعدد إلى معيارين استند إليهما الباحثون في تعريف المثقف، وهما: معيار الثقافة ومعيار الوظيفة أو الدور"[36].

ليطرح التساؤل حول أي مستوى يحوزه الشخص ليصبح مثقفا، أو أي وظيفة أو دور يقوم به داخل المجتمع ليمكن اعتباره مثقفا، خاصة وأن المثقفين لا يشكلون طبقة خاصة بهم، فهم ينبعون من جميع زوايا المجتمع، فقد يكون المثقف فلاحا أو نجارا أو مهندسا أو طبيبا، وقد يكون بائع سمك، غير أن السعيد بوطاجين رؤيته مختلفة: "انتبه الآن فقط، إلا أنه ظل خارج السياق والتقويم، كما غاليلو وسقراط، وكما الشاعر بوزيد والناقد مخلوف،

الذين ظلا خارج الوقت والعدد، كما المعطوبين بالوراثة، أولئك الذين لم يأتوا في الوقت المناسب"[37]. جاؤوا في زمن غير الزمن.

فلا يوجد نص أو معيار يمكن العودة إليه لتحديد من هو المثقف من دونه، لذلك "قد اختلف الباحثون حول مستوى الثقافة الذي يجب على الانسان أن يحوزه، حتى تطلق عليه صفة مثقف"[38]، غير أن الدارسين والباحثين أجمعوا على أن "وظيفة المثقف العربي هي الإلتزام بقضايا المجتمع والأمة العربية، بحيث لا يكون مثقفا إذا ابتعد عن هموم مجتمعه، وقضايا أمته"[39]، وهل يكون مثقفا من يتخلى عن قضايا وطنه.

أما علي شريعتي في كتابه مسؤولية المثقف فيقول: "والمثقف اصطلاحا ... كلمة تطلق على فرد من طبقة أو شريحة معينة، تقوم بعمل عقلي، فنحن نصنف المجتمع اعتبارا من نوع العمل الذي تقوم به كل طبقة، ونوع النشاط الذي تقدمه للمجتمع ... أما أولئك الذين يقومون بأعمال فكرية كالكتاب والشعراء فهم يعملون بعقولهم، وهؤلاء هم الذين نلقبهم بأهل الفكر أو المثقفين"[40]، حتى وإن كانت تتطلب مجهودا بدنيا.

غير أن الكتابة لا تغني صاحبها، ولا تسد رمقه، فهو في حاجة إلى مجهود عضلي إضافة إلى مجهوده الفكري، "أحببت أن أقول للأستاذ الطاهر: الكتب في وقتنا كما الرياح، قد تفيد الآخرين، لكنها لا تطعم صاحبها في هذه البلاد، والتي لا تحب سوى الظلام والطبل وكرة القدم، تلك مأساتها، ومن هذه النقطة ستبدأ نهايتها، وإذا التقينا في المرة القادمة ستجدني ألف السردين بأوراق الكتب، احتراما لجلالته الذي لا يحب سوى المزمار"[41].

الاشتغال بالفكر لا يضمن لصاحبه الحياة الكريمة التي يرجوها، ما يضطره لممارسة أية مهنة يدوية أو بدنية، فلا يكتفي بمسك القلم، والكتابة على الورق.

"هذا أنت؟ لا أكاد أصدق عيني، لا حول ولا قوة إلا بالله، كاتب يبيع السردين؟ مرحبا بك في حارتنا السيد ادريس، أيها الأديب الكبير؟ هل من جديد أيها الفنان؟ قرأت كتابك الأخير الذي نشرته قبل شهور، أقصد كتابك الذي يحمل عنوان امبراطورية الذئب، أعجبتني كثيرا حكاية بطانة السوء التي حبكتها بمهارة، كان كل ما ذكرته في محله، الموضوع والأحداث والكلمات والرؤية، أسلوبك ظاهرة، عجب العجاب كما يقول الأسلاف"[42]. إنه الكاتب إذا، يجوب الشوارع لتأمين لقمة العيش.

فالمجتمع نأى عن الموضوعات الثقافية التي تعود عليه وعلى الوطن بالفائدة، وانزوى يناقش أخرى جانبية، تحول إلى ثقافة الاستهلاك اليومي، والمجال الذي يستطيع أن

يخوض فيه العام والخاص، "وكان هناك في آخر الشارع ناس يتحدثون عن آخر هدف للفريق الوطني لكرة القدم، عن آخر خطاب للحاكم الأعظم، عن آخر أغنية لذلك الشاب الذي يتحدث باسم الحاكم عن آخر موضة، وعن الأكل الخفيف والمساحيق واللباس المستورد، وعن زكام اللاعب الدولي الذي أخرج ولاية بني مصران من الظلمات إلى النور"[43]. لتصبح مثل هذه الموضوعات الشغل الشاغل للجميع.

هذا الحال الذي يعيشه المجتمع أبعد المثقف عن المسؤولية الحقيقية المنوطة به، والتي يتحدث عنها شريعتي فيقول: "أن مسؤولية المثقف في زمانه هي القيام بالنبوة في مجتمعه حين لا يكون نبيا، ونقل الرسالة إلى الجماهير ومواصلة النداء، نداء الوعي والخلاص والإنقاذ في آذان الجماهير الصماء، التي أصيبت بالوقر، وبيان الاتجاه والسبب، وقيادة الحركة في المجتمع المتوقف، وإضرام نيران جديدة في مجتمعه الراكد"[44]. أليس هذا هو الدور الحقيقي للمثقف؟

إلا أن السعيد بوطاجين يذهب إلى غير ذلك، فبأسلوبه الساخر يرى عكس هذا الإتجاه تماما، فهو ينخرط في المجتمع، ويرى أن التفكير في حدّ ذاته خروج عن السائد والمألوف، وأن لا بد من الرجوع إلى جادة الصواب، "أنا أحمد خياط، وظيفتي قراءة الكتب بلا سبب، لقد نبت في رأسي ديوان من كثرة القراءة، أما هذا الذي معي فيدعى السعيد بوطاجين، وهو يكتب الكتب بلا سبب، لقد جئنا من أجل حقنة تعيدنا إلى حقيقتنا، علّنا نبرأ من هذه العلة الملازمة، أنا أريد حقنة حمار، اشتقت إلى النهيق، أحب أن أنهق وأتمرغ في التراب، أن أجعل عاليها سافلها علّي أستعيد عافيتي، تعبت من الحاكم، قبضة ريح، وما لبث أن نظر إلى مرافقه، وأنت؟"[45].

مسؤولية المثقف منح بني البشر الوديعة الإلهية الكبرى، أي المعرفة والوعي، لأن الوعي وحده يغير واقع الحال، وينهض بالأمة لتواكب الحضارة والتطور، ويقاوم الخنوع والخضوع، "الأمر سيان، أجاب السعيد بوطاجين وهو يتثاءب بمتعة، تشابه علينا البقر، حيث شاء الحي وجّه رأس الميت، كما تحب، إن كنت أزعج الحاكم ومريديه، أنبح مثلا، أو أموء، أو أعوي، لكني أحب حقنة جحش، أو كلب، أنتحل صفة صديقنا الناقد مخلوف عامر، أسطو على موهبة الشاعر بوزيد حرز الله، بل عبقرية الشعراء"[46].

"ألا يعتبر المثقف شخصا كونيا، لا من حيث طرفه التاريخي والثقافي الحديث فحسب، بل بسبب رؤيته المهنية القديمة جدّا، البحث عن الحقيقة في مختلف دوائر النشاط

الإنساني"[47]، غير أن المثقف في "للأسف الشديد" يتخلى عن هذا الدور، ويتنازل عن هذه المكانة "الشخص الكوني"، ويكتفي بأن يكون واحدا من عامة الناس، وأن يخوض مع الخائضين، "يا أخوتنا في النبل والصفاء، يا جماعة الخير والشر، تكلمنا كثيرا وكتبنا وقلنا وعلمنا كثيرا، فلم ننفع ولم ننتفع، وصلنا إلى القاع، إلى الجفاف، إلى الطين، إلى العمى، علينا أن ننتقل الآن إلى مرحلة أعلى، علّنا نفيد ونستفيد، وكان ينهق جيدا، أفضل من الحمار والجحش، وحاكم الولاية التي هوت إلى القاع، مذ أدمنت الطبل والمزمار، مذ نفذ إليها المعتوهون، وجعلوها ملكية عائلية"[48].

وإذا كان دور المثقف لا يقف عند الإنتاج الفكري؛ بل البحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت بالمجتمع إلى الركود، وإلى الأمة بالتراجع، فيعمل على تنبيه مجتمعه إلى مصيره، وحثه على تجاوز عثراته، وإعادة القطار إلى سكته، "وإذا استولت الشخصيات على الاكتشاف والمناصب، وراح الجميع ينبحون وينهقون ويعضون ويصلون، لم يجد الكاتب ما يفعله في ولاية بني مصران، قيل له ليس لك أن تبقى عاطلا عن العمل، بعد أن خلقتنا ورميت بنا في عباب الورق، يجب أن تجد لك عملا فنيا، أفضل من المتنبي وسقراط، أفضل من المجاز، عليك أن تغني أو تطبل، وسنمسك االشاب السعيد بوطاجين، المطرب الموهوب، المطرب المرعب، وذلك إكراما لك"[49]، هي طريقته في توزيع الأدوار على هؤلاء المثقفين الذين يعانون قطيعة مع مجتمع خانع، وصراع دون هدنة مع سلطة مهيمنة، تسعى لتهجينهم وضمهم إلى الاصطبل، وهذا راجع لغياب الوعي ولغياب الحرية.

فالمجتمع يعتقد أن صاحب المال هو صاحب الشأن، "نعم، من لا مال له ولا جاه لا معنى له، البشر يمشون مع الحائط الواقف، المال هو العقل والحكمة في هذه المملكة، نحن ملعونون إلى أبد الآبدين، لا قيمة للكتب، لا قيمة للجمال، المال، المال، المال ثم المال"[50]، أما السلطة فهي تفرض منطقها على الجميع، والرافض مجبر على دفن عصارة فكره، وهو على قيد الحياة، مثلما حدث مع عادل صياد، "كان في كل العيون بلل وحمرة، إلا عيون عادل، الذي ظلّ مناوئا ولم يتبع التعاليم والقافلة، لأنه مات قبل أعوام، ودفن في شق ضيّق، لصق أشعاره وحياته التي أعيد دفنها بعيد عن أرضه وعصافيره وأمه، كانت أشعارا لا تليق بجلالته الذي أحب الموشحات والأزجال، وأدمن البعاد هربا من شكاوي الرعية، التي لا تشبع ولا تقنع"[51]. الرعية المزعجة.

المثقف الذي يدلي برأيه للسلطة مباشرة موظف عندها على حد قول شريعتي، المثقف مطالب بتحريك الرأي العام وتغيير اتجاهه، بالترويج لأفكار هو توضيحها وتسهيل وصولها إلى أكبر شريحة من المجتمع، ولا يكتفي بالمراقبة والملاحظة من بعيد، "عادل الذي كان يرقد تحت التراب قلقا كديدنه عندما كان حيّا، يشتم الملك وما ملك والرهط كلّما رأى منكرا، وكانت المنكرات وفيرة كالدود"[52]، وهو بذلك مثقف إيجابي، يسعى لتغيير القيم الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة بطريقته وبأسلوبه، "أنا عادل صياد، فاجأهم، ثم أردف: أيها المنافقون والجوارب والضمادات والمداحون والحمقى، ومساحو الأحذية والملعونون، دفنت أشعاري، وجئت إلى هنا فارا من الملك ومنكم، فجئتم تطاردونني بوسخكم، أرض الله واسعة، لن أبقى هنا، إني ذاهب لأبحث عن قبر يفهمني، أو عن مكان أفهمه، أستلقي فيه، أقرأ وقاحتكم، وأكتب حيا وميّتا، بعيدا عن إقامة الملك، بعيدا عنكم، لكنني سأفضحكم، لن أسكت هذه المرة، سأفرغ الكيس برمته، سأفتح الملفات"[53].

هل فشل المثقف فعلا في التغيير من الداخل، فلجأ إلى خارج الوطن ليفضح واقع الحال، ويعري الممارسات التي تعمل على تأخر الوطن والمواطن، وتسهم في التردي والانهزامية.

5.خاتمة:

في الأخير يمكن أن نستخلص:

- الشخصيات في هذه المجموعة حقيقية، بما في ذلك شخصية الكاتب السعيد بوطاجين، والتي صرح بوجودها الفعلي، ومشاركتها في الأحداث مع باقي الشخصيات.
- لاحظنا حضور: بوزيد حرزالله (شاعر)، مخلوف عامر (ناقد)، عادل صياد (شاعر)، عبد الكريم ينينة (قاص)، ميلود خيزار (شاعر) كما حضر السعيد بوطاجين نفسه كشخصية من شخصيات المجموعة القصصية.
- شخصيات المجموعة القصصية متمردة رافضة معارضة ممثلة لطبقة الأدباء الخارجين عن القصر.
- في الوقت الذي يعلن فيه أحدهم فشله، فإن آخر يتمسك بالمجموعة، ويتبنى خياراتها.
- قدمت المجموعة العلاقة بين المثقف والسلطة، وكذلك بينه وبين المجتمع.

- قدم الكاتب نماذج لشخصيات تناضل وتقاوم من الداخل، عكس تلك التي اتخذت من منابر خارجية فضاء لمهاجمة السلطة، وتجييش المواطن ضدها.

6. الهوامش:

مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، عالم المعرفة،240، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص73.[1]

حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص207.[2]

حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، نفس المرجع، ص207.[3]

مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص76.[4]

عمار بن زايد: تأثير الشخصية الروائية في عمليتي الكتابة والتلقي، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية، المجلد1، العدد1، جانفي 2013، ص9.[5]

محمد بوعزة: تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص9.[6]

محمد علي سلامه: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي،دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2007، ص32.[7]

إبراهيم الخليل: بنية النص الروائي،الدار العربية ناشرون، ط1، مطابع الدار العربية، بيروت، 2010، ص173.[8]

جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص42.[9]

محمد علي سلامه: الشخصية الثانوية، مرجع سابق، ص31.[10]

مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية،مرجع سابق، ص91.[11]

عمار بن زايد: تأثير الشخصية الروائية في عمليتي الكتابة والتلقي، مرجع سابق، ص8.[12]

مرتاض محمد: السرديات في الأدب العربي المعاصر، دار هومة، الجزائر، 2014، ص16.[13]

غيبوب بايه: الشخصية الأنثربولوجية في رواية مائة عام من العزلة، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012،ص14.41

ينظر:ابن منظور:لسان العرب، (مادة شخص)، المجلد 7، دار الكتب العالمية، لبنان، 1992، ص15.45

الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العالمية، ط2، بيروت لبنان، 1996، ج2، مادة شخص، ص16.120

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العالمية، ، بيروت، ص17.645

سهى خالد: شخصية المرأة في الرواية النسوية الأردنية، فضاءات للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2017، ص18.26

محمد القاضي واخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، ط1، تونس، ، 2010، ص271.[19]

لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2002، ص 113-114.[20]

لطيف زيتوني: نفس المرجع، ص114.[21]

لطيف زيتوني: نفس المرجع، ص115.[22]

حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص208.[23]

حسن بحراوي: نفس المرجع، ص208.[24]

مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص76.[25]

غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، أكتوبر97، القاهرة، ص526.[26]

مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص75.[27]

مرتاض عبد المالك: نفس المرجع، ص75.[28]

جماعة الكولزيوم القصصي: الشخصية في الأدب والفن، مؤسسة البشير، ط1، المغرب، 2011، ص15.[29]

جماعة الكولزيوم القصص: نفس المرجع، ص19.[30]

جميل حمداوي:مرجع سابق، ص223.[31]

إليوت: ملاحظات حول تعريف الثقافة، تر: شكري عياد، المؤسسة المصرية للتأليف، القاهرة، ص51.[32]

السعيد بوطاجين: للأسف الشديد، دائرة الثقافة، ط1، الشارقة، الامارات العربية، 2017، ص12.[33]

السعيد بوطاجين:نفس المرجع، ص12.[34]

السعيد بوطاجين:نفس المرجع، ص12.[35]

محمد رياض وتار:شخصية المثقف في الرواية السورية، دراسة إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص12.[36]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص26.[37]

محمد رياض وتار: مرجع سابق، ص12.[38]

محمد رياض وتار:مرجع سابق، ص16.[39]

علي شريعتي: مسؤولية المثقف، تر: إبراهيم دسوقي، دار الأمير، ط1، بيروت، لبنان، ، ص50.[40]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص22.[41]

السعيد بوطاجين: نفس المرجع، ص21.[42]

السعيد بوطاجين: نفس المرجع، ص30.[43]

علي شريعتي:مرجع سابق، ص126.[44]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص33.[45]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص33.[46]

جيرار ليكلرك: سوسيولوجيا المثقفين، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة، ط1، ليبيا، 2008، ص7.[47]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص34.[48]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص35.[49]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص50.[50]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص66.[51]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص67.[52]

السعيد بوطاجين:مرجع سابق، ص71.[53]